

رأي آخر في الوحدة

بسم الله الرحمن الرحيم

الوحدة التي بحّت أصوات خطبائنا وكتابتنا وشعرائنا في التّفنّي بها: ضمّ شتات الأنظمة والبلدان والأفراد والشعوب باسم القومية أو الفكر أو الدين في كيان إداري واحد.

وربما صارت الوحدة عرضاً من عروض التّجارة في سوق الزّعامة الفرديّة أو الحزبيّة أو المطائفيّة، وربما صارت الوحدة مجرد شعار عاطفيّ خياليّ يلهب حناجر المسذّج وقلوبهم كما قال شوقي رحمه الله في ترجمته لمسرحية شيكسبير عن قيصر:

أنظر الشعب (ديون)***كيف يوحدون إليه

يا له من ببغــــــــــــــــاءٍ***عقله في أذنيه

وربّما ضحك الشيطان فرحاً بهذه (الملهاة) الجديدة التي خدمه بها خطيب الجريدة والاذاعة والمسرح، وخطيب اللعبة السياسيّة، وخطيب المسجد المعاصر، فأشغلت المسلم عن اكتشاف واصلاح أحواله الدينيّة والدينيّة.

وقد يكون شرّاً، قد يكون طاعة لله سبحانه وقد يكون معصية له، قال الله تعالى: (وتعاونوا على البرّ والتّقوى ولما تعاونوا على الماثم والعدوان). والله سبحانه وتعالى يأمر بالاجتماع وينهى عن التفرّق بشرط الاعتصام بحبله: (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولما تفرّقوا).

وقد غفل عن التّقيد بهذا الشرط أكثر دعاة العصر وتجمّعاته وأحزابه وطوائفه وفرقه الدينيّة فضلاً عن غيرهم؛ فدعوا النّاس إلى الوحدة والائتّحاد والتّجمع والتّحزّب على غير فقه في الدين ولما اتّباع لسيّد المرسلين، بل على ما تعودّه النّاس من المبتدعات وعبادة الله بما لم يأذن به الله، بل وكانت دعوتهم إلى الاجتماع على الدين، في حقيقة أمرها، دعوة إلى التفرّق فيه: شرع الله ملازمة الجماعة ففتّوها جماعات، سمّاهم الله اسماً واحداً (المسلمين) فتسمّوا بأسماء مختلفة، أمرهم الله بالانتماء إلى منهج واحد وطاعة إمام واحد فابتدعوا مناهج غير معصومة ينتمون لها واتخذوا رؤساء ومشايخ ودعوا النّاس إلى طاعتهم (في المنشط والمكره).

وفي القرنين الأخيرين نجحت محاولتان للوحدة والامتداد في مجتمعاتنا وفضلت بقيّة المحاولات:

(1) وحدة معظم جزيرة العرب، من البحر إلى الخليج ومن حدود الشام إلى حدود اليمن، على أساس شرعيّ متين من الدعوة إلى الله على بصيرة، وتحكيم كتاب الله وسنة رسوله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونشر توحيد الله بالعبادة ونبتد الشرك بالله وهدم مظاهره (القديمية الجديدة). من الأضرحة والمقامات والمشاهد والمزارات، ونبتد الخرافات والبدع في الدين، والمجاهد في سبيل الله حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله.

وقد غابت هذه الوحدة عن الوجود السياسي فترة من الزمن بأمر من الخلافة العثمانية (غير المرشدة وغير المهديّة) وتنفيذ من القوة العسكرية الدائرة في فلكتها لمحمد عليّ الألباني وابنه طوسون وإبراهيم، وإنما كان ذلك بقدر من الله جزاءً وفاقاً لظهور التقصير في الالتزام بالعهد الذي قامت عليه الوحدة، ثم عادت قوية متينة ظافرة بعودة الالتزام بالعهد الذي عقده مؤسسها: الشيخ محمد بن عبد الوهاب والامام محمد ابن سعود رحمهما الله، وصدق الله وعده: (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ولم يمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً).

(2) اتحاد الإمارات العربية في الخليج على أساس من المصالح المشتركة الحرة المتساوية.

لم يسبق أيّ من هذين النموذجين المنّاجحين في جزيرة العرب شيئاً من الدعاية السياسية، ولما المخطب الرنّانة، ولما الدعوود الخلاّية، ولما المتلاعب بعواطف الشعب وفهمه الساذج للسياسة والادارة والحريّة.

بل إنّ وحدة جزيرة العرب، يوم أسّست على التقوى من أوّل يوم، لم يكن بين أهدافها إيجاد كيان سياسي أو إداري موحّد للمنطقة الجغرافية التي ضمّتها (فيما بعد) دولة الوحدة.

بل إنّ الدعوة القدوة الأولى التي قام بها رسول الله صلى الله عليه وسلّم بأمر الله لم تدع إلى وحدة سياسية أو إدارية، ولما إلى قيام دولة، ولم تدخل في منازعة على الحكم الاداري وإنما كان هدف الدعوة القدوة والدعوة التي سارت على هديها: نشر دين الحق، ومحاربة الشرك والابتداع في الدين، والنتيجة في هذه وتلك: تحقق وعد الله بالانصر والتمكين والاستخلاف في الأرض والأمن والبسطة في الرزق والوحدة على الحق، اللهم صل وسلّم وبارك على محمد وعلى آل محمد.

كتبه/ سعد بن عبد الرحمن بن عبد العزيز الحصيّن، تعاوننا على البر والتقوى وتحذيراً من الإثم والعُدوان.